

## طبيعة النظام الرأسمالي

يعرف النظام الرأسمالي ، تبسيطا ، بأنه نظام الحد الأقصى من الأرباح . وسعيا وراء هذا الهدف يخوض الرأسماليون صراعا ضاريا لا رحمة فيه . وبفعل هذا الصراع يتطور النظام الرأسمالي من المنافسة الحرة الى الاحتكار ، الى رأسمالية الدولة الاحتكارية وما يرافق هذا من نشوء الاستعمار ، وينقلب الشعبان الذي استلهمت به الرأسمالية عهدا الزاهر من Laissez-Faire دعاه يعمل ، الى Laissez-Mourir دعاه يموت .

يتميز النظام الرأسمالي بفوضى الإنتاج وغياب البرمجة والنخيط ، الامر الذي يولد أزمات فائض انتاج بشكل دوري . إذ طالما بقي الطابع الاجتماعي للإنتاج نقيضا للتملك الفردي لوسائل الإنتاج في النظام الرأسمالي ، فان أزمات الإنتاج وما يترتب عليها من تدمير للقوى المنتجة تبقى ملازمة للنظام كجزء من طبيعته . ان القوانين في الرأسمالية تعمل وفق قوانين الطبيعة العمياء المدمرة والخارجة عن ارادة الانسان .

وتحاول الرأسمالية التخفيف من آثار هذه الأزمات او اجراء تباعد بين فترات وقوعها ، فتلجأ الى توجيه الاقتصاد وجهة عسكرية بغية تنشيط الإنتاج وامتصاص الفائض منه . فالرأسمالي ، بتملكه وسائل انتاج الخيرات المادية ، لا يقوم بتلبية حاجات الناس من وجهة نظر رئيس جمعية خيرية ، وانما لان هذا يتيح له فرصة تحقيق ارباحه . فاذا ما اكتشف ان صنفا اخر من المنتج ، مدفعا او دبابة او حتى أسلحة جراثومية ، يحقق له الشيء نفسه وبمقاييس أعلى ، فانه سرعان ما يحول خط انتاجه في هذا الاتجاه . ويتحول جزء من الاحتكارات الى الإنتاج الحربي كوسيلة لتنشيط الحياة الاقتصادية التي دب بها الركود ، ومما يوفره هذا النمط من الإنتاج من وتائر أعلى في فائض القيمة .

وخلال مرحلة زمنية قد تقصر او تطول ، يتخيل النظام الرأسمالي انه وجد في التسلح بلسمه الشافي ، ومن أجل تبرير هذا التوجه يفتعل عدوات خارجية ويؤجج روح العداء القومي ويكبح الصراعات الداخلية ويمتص مداخيل التشغيل بشكل ضرائب متزايدة للاتفاق العسكري . ويتولد عن هذا جو هستيري يغري بالتدخل الاستعماري مما يوترز الاجواء الدولية ويخلق المناخ الصحي الذي تتنفس فيه الرأسمالية بشهيق أعمق .

ان الروح العدوانية للرأسمالية جزء من طبيعتها ، وهذا يطبعها ، خاصة في المراحل العليا من تطورها ، بطابع رجعي وقمعي في الداخل والخارج كعميقة لتطور القوى المنتجة وتقدم الشعوب . وفي مجال العلم والثقافة تقف الرأسمالية موقفا مغائرا لذلك الذي وفتته في بدء نشأتها عندما كان العلم والثقافة يخدمان أهدافها في وجه النظام الإقطاعي الأيل للسقوط . وليس بoudنا الاحاطة بكل جوانب الرأسمالية وافرازاتها بقدر ما يهمننا الوصول الى اخطر ما تجد الرأسمالية نفسها أسيرة له بحكم قوانين تطورها ، وهو شهوة العدوان .

فاذا ضربنا صفحا عن الحروب التي كانت تشنها الدول الرأسمالية ضد بعضها من أجل اقتسام اسواق العالم وبسط سيطرتها عليها ، ووقفنا أمام ردود الفعل التي انتابتها من جراء قيام طراز جديد من الدول خارج اطار رأس المال ، وهو الحدث الذي ولد مقولة التعايش السلمي ( موضوع بحثنا ) ، لوجدنا ان الرد على أول مرسوم أصدرته السلطة السوفياتية في اليوم الأول من قيامها ، وهو مرسوم السلام ، كان التدخل المسلح بأربع عشرة دولة رأسمالية لخنق المولود في مهده .